ما هو التشريع في الإسلام ومن يحق له وماهي مصادره

كتبه غريب الديار بتاريخ الأحد ١ شعبان ١٤٤٢

لمن يحق التشريع الإسلامي ؟ وقبل ذلك ما هو التشريع أصلا؟ هذا ما سوف نعرفه من خلال المحاور التالية

- معنى التشريع لغة
- معنى التشريع في القانون
- تعريف التشريع الإسلامي اصطلاحا
- ما هو صاحب الحق في التشريع في الإسلام
- مصادر التشريع الإسلامي
- كيف وقعت الأمة في شرك التشريع
- مشرعي زماننا

معنى التشريع لغة

قال ابن سيده[1]

شرع الوارد يشرع شرعا وشروعا: تناول الماء بفيه.

ودواب شروع: شرعت نحو الماء.

والشريعة, والشراع, والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها.

وشرع إبله, وشرعها: أوردها شريعة الماء, فشربت, ولم يستق لها. وفي المثل: " أهون السقي التشريع ". وذلك لأن مورد الإبل إذا ورد بها الشريعة, لم يتعب في استقاء الماء لها, كما يتعب إذا كان الماء بعيدا.

[1] المحكم والمحيط الأعظم المجلد 1 الصفحة 369

والشريعة: موضع على شاطئ البحر، تشرع فيه الدواب. والشريعة، والشرعة: ما سن الله من الدين، وأمر به، كالصلاة والصوم والحج، وسائر أعمال البر، مشتق من شاطئ البحر، عن كراع.

وشرع الدين يشرعه شرعا: سنه. وفي التنزيل: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا)

قال ابن منظور[2]

شرع: شرع الوارد يشرع شرعا وشروعا: تناول الماء بفيه.

وشرعت الدواب في الماء تشرع شرعا وشروعا أي دخلت. ودواب شروع وشرع: شرعت نحو الماء.

والشريعة والشراع والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها، قال الليث: وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره.

والشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدا لا انقطاع له، ويكون ظاهرا معينا لا يسقى بالرشاء، وإذا كان من السماء والأمطار فهو الكرع، وقد أكرعوه إبلهم فكرعت فيه وسقوها بالكرع وهو مذكور في موضعه.

وشرع إبله وشرعها: أوردها شريعة الماء فشربت ولم يستق لها. وفي المثل: أهون السقي التشريع، وذلك لأن مورد الإبل إذا ورد بها الشريعة لم يتعب في إسقاء الماء لها كما يتعب إذا كان الماء بعيدا؛

ورفع إلى علي، رضي الله عنه، أمر رجل سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين قفلوا إلى أهاليهم، فاتهم أهله أصحابه فرفعوهم إلى شريح، فسأل الأولياء البينة فعجزوا عن إقامتها وأخبروا عليا بحكم شريح فتمثل بقوله:

أوردها سعد، وسعد مشتمل، ... يا سعد لا تروى بهذاك الإبل.

ثم قال: إن أهون السقي التشريع، ثم فرق بينهم وسألهم واحدا واحدا، فاعترفوا بقتله فقتلهم به؛

---

[2] لسان العرب المجلد 8 الصفحة 176

أراد علي: أن هذا الذي فعله كان يسيرا هينا وكان نوله أن يحتاط ويمتحن بأيسر ما يحتاط في الدماء كما أن أهون السقي للإبل تشريعها الماء, وهو أن يورد رب الإبل إبله شريعة لا تحتاج مع ظهور مائها إلى نزع بالعلق من البئر ولا حثي في الحوض, أراد أن الذي فعله شريح من طلب البينة كان هينا فأتى الأهون وترك الأحوط كما أن أهون السقي التشريع.

وإبل شروع, وقد شرعت الماء فشربت؛ قال الشماخ:

يسد به نوائب تعتريه ... من الأيام كالنهل الشروع

وشرعت في هذا الأمر شروعا أي خضت. وأشرع يده في المطهرة إذا أدخلها فيها إشراعا.

قال: وشرعت فيها وشرعت الإبل الماء وأشرعناها.

وفي الحديث:

فأشرع ناقته

أي أدخلها في شريعة الماء. وفي حديث الوضوء:

حتى أشرع في العضد

أي أدخل الماء إليه. وشرعت الدابة: صارت على شريعة الماء؛ قال الشماخ:

فلما شرعت قصعت غليلا ... فأعجلها, وقد شربت غمارا

والشريعة موضع على شاطئ البحر تشرع فيه الدواب.

والشريعة والشرعة: ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر مشتق من شاطئ البحر؛ عن كراع؛ ومنه قوله تعالى: ثم جعلناك على شريعة من الأمر, وقوله تعالى: لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

تعريف التشريع في القانون

مجموعة القواعد العامة المجردة الملزمة الصادرة عن السلطة العامة المختصة في الدولة التي تبيح أو تحظر أو تنظم حق أو مجموعة حقوق.

بعبارة أخرى هو كل قاعدة قانونية تصدر عن السلطة المختصة في وثيقة مكتوبة [3]

تعريف التشريع الإسلامي اصطلاحا

معنى التشريع الإسلامي إصطلاحا , هو مجموعة القوانين الربانية الملزمة للأمة كلها, من تحليل, وتحريم, ونهي, وأمر, كالصلاة, والصوم, والزكاة, وأحكام, البيوع, والنكاح, والجهاد, وغيره, وسميت أحكام اللّه شريعة, لرجوع الناس إليها , لتعرف ما أمرها اللّه به, وما نهاها عنه, كما أن الشريعة هي محل الماء الذي تشرعه الناس والدواب حين تريد الشرب.

من له حق التشريع في الإسلام

إذا تأملت القرآن تجد أن التشريع في الإسلام حق إلهي بحت, فالله عز وجل هو وحده من له حق التشريع, فنحن عبيده , والرزق رزقه, ومن ثم فله كامل الحق أن يشرع لنا ما يشاء, فيحل لنا, أو يحرم علينا ما يشاء, فنحن ملكه سبحانه, وقد بين ربنا عز وجل ذلك في قوله:

‹ قُل أَرَأَيتُم ما أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِن رِزقٍ فَجَعَلتُم مِنهُ حَرامًا وَحَلالًا قُل آللَّهُ أَذِنَ لَكُم أَم عَلَى اللَّهِ تَفتَرونَ › [يونس: ٥٩]

فالرزق رزقه, ولذلك فمن الاعتداء أن نشرع, فنحرم, ونحلل, ما لا نملك, لمن لا نملك.

لقد بين ربنا عز وجل أن شرك التشريع هو ما وقع فيه المشركون من قبل, فقال جل من قائل :

‹ وَقالَ الَّذينَ أَشرَكوا لَو شاءَ اللَّهُ ما عَبَدنا مِن دونِهِ مِن شَيءٍ نَحنُ وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمنا مِن دونِهِ مِن شَيءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذينَ مِن قَبلِهِم فَهَل عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا البَلاغُ المُبينُ › [النحل: ٣٥]

فبين ربنا عز وجل أن عبادتهم لغير اللّه , إنما تكمن في تحريمهم من دونه, فالواو في قوله "ولا حرمنا من دونه من شيء" واو عطف تدل على البيان, أي أن شركهم في عبادتهم لغير اللّه, إنما يكمن في تشريعهم بتحريمهم من دون اللّه.

[3] المصدر ويكيبديا

فصاروا بذلك عابدين لمن حرّم عليهم , حيث أنهم أطاعوه في تحريمه من دون اللّٰه.

هذا المعنى، أي شرك التشريع، نص عليه ربنا عز وجل كذلك في قوله:

﴿ أَم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعوا لَهُم مِنَ الدّينِ ما لَم يَأذَن بِهِ اللَّهُ وَلَولا كَلِمَةُ الفَصلِ لَقُضِيَ بَينَهُم وَإِنَّ الظّالِمينَ لَهُم عَذابٌ أَليمٌ ﴾ [الشورى: ٢١]

فالله سبحانه إذا هو وحده من له حق التشريع في الإسلام , من اتخذ مشرعا معه صار مشركا والعياذ بالله.

مصادر التشريع الإسلامي

إنه من البديهي لمن عرف ماهية الإسلام، أن مصدر التشريع ربنا وحده، فهو وحده صاحب الحق في التشريع.

إذاً مصادر التشريع الإسلامي هي وحي اللّٰه عز وجل أي القرآن والسنة فقط، لأنه لم يأتينا من عند اللّٰه غير القرآن والسنة.

لقد نص على هذا المعنى الواضح الجلي فأمر باتباع وحيه حصرا حين قال:

﴿ اتَّبِعوا ما أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم وَلا تَتَّبِعوا مِن دونِهِ أَولِياءَ قَليلًا ما تَذَكَّرونَ ﴾ [الأعراف: ٣]

وفي قوله:

﴿ اتَّبِع ما أوحِيَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ لا إِلهَ إِلّا هُوَ وَأَعرِض عَنِ المُشرِكينَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦]

وقال مخبرا عن نبيه صلى اللّٰه عليه وسلم:

﴿ وَإِذا لَم تَأتِهِم بِآيَةٍ قالوا لَولَا اجتَبَيتَها قُل إِنَّما أَتَّبِعُ ما يوحى إِلَيَّ مِن رَبّي هذا بَصائِرُ مِن رَبِّكُم وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِقَومٍ يُؤمِنونَ ﴾[الأعراف: ٢٠٣]

إذاً فمصادر التشريع عند المسلمين هي الوحي حصرا

إن الناظر إلى الأمة ومنذ أكثر من ألف عام يجد أن مصادر التشريع الإسلامي عند الأمة ليست القرآن والسنة فقط بل هي خمسة مرتبة على النحو التالي:

القرآن ثم السنة ثم الإجماع ثم القياس ثم الاجتهاد.

أي أن اللّه مشرع ثم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مشرع مستقل عن اللّه, ثم الأمة مشرعة مستقلة عن اللّه ورسوله, ثم آحاد المجتهدين يشرعون من خلال أقيستهم واجتهاداتهم.

وهذا خلاف ما دلت عليه الآيات السابقة ومناقض لها, مما يطرح السؤال كيف وقعت الأمة في شرك التشريع رغم كل هذه الآيات؟

كيف وقعت الأمة في شرك التشريع

إن هذا السؤال في الحقيقة وجيه جدا, والجواب عليه يكمن في وقوع الناس قديما وحديثا في لبس جعلهم لا يميزون بين التشريع والقضاء والحكم, ويعتبرون هذه المفاهيم الثلاثة مفهوما واحدا, وهو التشريع.

فإذا تصرف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كقاض أو كقائد للجيش, اعتبروا ذلك تشريعا منه صلى اللّه عليه وسلم, وإذا قال صلى اللّه عليه وسلم :

إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب, فله أجران, وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ, فله أجر

اعتبروا ذلك إذنا من اللّه للناس في التشريع معه, وهذا غير صحيح كما سبق وبينا في مقال سابق عن الفرق بين القضاء والتشريع.

أمر آخر كان سببا في هذا النوع من الشرك هو الإعراض عن الوحي والكفر بقول الحق سبحانه :

﴿ وَيَومَ نَبعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيدًا عَلَيهِم مِن أَنفُسِهِم وَجِئنا بِكَ شَهيدًا عَلى هؤُلاءِ وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبيانًا لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً وَبُشرى لِلمُسلِمينَ ﴾ [النحل: ٨٩]

حيث يعتبر الناس أن الوحي قرآنا وسنة عاجزا عن استيعاب كل الأحداث بيانا وحكما, ويعللون ذلك بكون الحوادث غير محصورة في حين أن الأحكام محصورة بزعمهم مكذبين بذلك للآية السابقة.

هذا التكذيب دفعهم للبحث عما يسدون به هذا النقص المزعوم، في الأحكام الفقهية فاخترعوا لذلك مصادر تشريعية تسمى الاجتهاد بكل أنواعه.

فمثلا القياس الذي هو إلحاق فرع بأصل في الحكم لاشتراكهما في العلة، يشترط في الفرع أن لا يكون منصوص الحكم.

وهذا طبعا غير موجود فعليا، فالله تعالى بيَّن كل شيء كما أخبر ولكن الناس معرضون عن بيانه.

إن شرك التشريع كان أول ما منيت به هذه الأمة والأمم السابقة، ويبدأ أولا بتشريع الكذب على الله كخطوة أولى، فالمشرع الجديد ينسب ضمنيا تشريعه لله عز وجل، فيقول هذا حلال وهذا حرام، ويسكت.

مما يوهم السائل أن الله تعالى هو الذي جعل ذلك حلالا وجعل الآخر حراما، وقد حذر الله تعالى من ذلك في قوله :

﴿ وَلا تَقولوا لِما تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هذا حَلالٌ وَهذا حَرامٌ لِتَفتَروا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذينَ يَفتَرونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لا يُفلِحونَ ﴾ [النحل: ١١٦]

وهذا مشاهد اليوم بكثرة، فأغلب من يتصدر للفتوى، إنما يعطي أحكاما جاهزة تتصور العامة أنها حكم الله، وما هي بحكم الله، والمفتي نفسه يعلم أنها ليست حكم الله تعالى وإنما هي تشريع من عنده أو تشريع من عند غيره بناه على مصادر للتشريع غير القرآن والسنة ما أنزل الله بها من سلطان، ولكنه لا يجرؤ على ذكر ذلك للعامة، لذلك تراه عنده التدقيق معه أفتواه حكم الله أم لا؟

يغضب ويراوغ، ويتهم السائل بالتنطع، وأنه ما دام جاهلا لا يعرف الفقه فحكمه التقليد، فهو ليس من أهل النظر ولا يستطيع تمييز الأدلة.

إننا في شرك التشريع نتبع سنن من قبلنا كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بين ربنا عز وجل أن الأمم السابقة اقتصر تحريفهم على الكذب على الله عز وجل في قوله:

﴿ فَوَيلٌ لِلَّذينَ يَكتُبونَ الكِتابَ بِأَيديهِم ثُمَّ يَقولونَ هذا مِن عِندِ اللَّهِ لِيَشتَروا بِهِ ثَمَنًا قَليلًا فَوَيلٌ لَهُم مِمّا كَتَبَت أَيديهِم وَوَيلٌ لَهُم مِمّا يَكسِبونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]

وهذا ملاحظ اليوم بوضوح, فإذا اطلعت على كتاب النصارى الذي يقدسونه, وجدتهم ينسبون لله كلام أحبارهم باعتبار أن الله أوحى لأحبارهم عن طريق الإلهام

وهذا بالضبط ما نمارسه وإن كان بطريقة خجولة – نفتي بالفتوى دون أن تكون حكم الله, وإنما هي اجتهاد المفتي مستخدما مصادر تشريعية غير الكتاب والسنة ولا نبين ذلك – ولم نكتفي بذلك, بل زدنا عليه حيث أعطينا لأنفسنا حق التشريع مع الله تحت ما يسمى الاجتهاد الذي بينا حقيقته في درس سابق, ثم نسبنا ذلك للإسلام فنقول هذا هو التشريع الإسلامي وهذه هي مصادر التشريع الإسلامي ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم جعلنا من أنفسنا مشرعين فوق الله عز وجل, وذلك عبر ما نسميه الاستحسان, فأعطينا لأنفسنا الحق في تشريع ضوابط لوقف العمل بالوحي قرآنا وسنة, كما هو موضح في كتاب الضوابط الشرعية لوقف العمل بنصوص القرآن والسنة, الذي اعتبر كتابا قيما عند المجامع العلمية الفقهية المعتبرة في أمتنا للأسف.

إننا بهذا للأسف الشديد لا نكون مارسنا شرك التشريع وحسب, بل جعلنا من أنفسنا مشرعين فوق الله عز وجل والعياذ بالله.

لذلك لا تستنكر أن يضرب الله علينا الذلة والمسكنة جزاء نكالا لما اقترفنا, فليس كفارنا بخير من أولئك, وليست لنا براءة في الزبر, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مشرعي زماننا

لقد ظلت الأمة لعصور طويلة تتبع المجتهدين الذين هم المشرعون مع الله في دين الله, ولذلك ضرب الله على الأمة لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون حتى أن الله سلط عليها بقية الأمم فاحتلوا أرضها وعبدوا أهلها, وأنشأوا ما عرف بالدول الحديثة والتي تجاهر بمعصية الله واتخاذ مشرعين يشرعون للناس كل شيء ويتسمون بذلك فهم السلطة التشريعية بزعمهم.